معهد الدين القيم

بإشراف الشيخ أبي الحسن علي الرملي

تفريغ دروس الأربعون النووية

شرح الشيخ رياض عصنوني حفظه الله

الدرس رقم (٢)

التاريخ: السبت ١٤٤٠/٣/١٥ هـ

٢٠١٨/١١/٢٣ م

الدرس الثاني من شرح "الأربعين النووية"

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنّ محمدا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم أما بعد:

فمعنا الليلة إن شاء الله تعالى الدرس الثاني من دروس شرح الأربعين النووية للحافظ أبي زكريا يحيى بن شرف النووي رحمه الله.

وحديثنا الليلة، الحديث الثاني من هذه الأحاديث، هو **حديث جبريل** الشهير،

وهذا الحديث اعتنى به العلماء كثيرا؛ وذلك لعظم الأمور التي اشتمل عليها، فقد اشتمل على بيان مراتب الدين الثلاث كما سيأتي،

وهو من الأحاديث التي تفرد بإخراجها - بهذا السياق - الإمام مسلم عن البخاري ، كما أنّ الحديث الأول حديث إنما الأعمال بالنيات تفرد بإخراجه الإمام البخاري ولم يخّرجه مسلمٌ رحمه الله، إلا أنّ هذا الحديث جاء من روايات أخرى، جاء مرويا عن أبي هريرة وغيره من الصحابة، لكن لم يأت بهذا الطول وبهذا التفصيل المذكور في حديث عمر ﷺ.

هذا الحديث وصفه العلماء بأنّه **أمُّ السنة** ،

قال فيه القاضي عياض رحمه الله في شرحه على صحيح مسلم، القاضي عياض له شرح على صحيح مسلمٍ اسمه **إكمال المعلِم بفوائد صحيح الإمام مسلم**، قال عند شرحه لهذا الحديث: "وهذا الحديث قد اشتمل على شرح جميع وظائف العبادات الظاهرة والباطنة من عقود الإيمان وأعمال الجوارح و إخلاص السرائر و التحفظ من آفات الأعمال، حتى إنّ علوم الشريعة كلها راجعة إليه ومتشعبة منه، و على هذا الحديث وأقسامه الثلاث ألّفنا كتابنا الذي سميناه بالمقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان، إذا يشذ شيء من الواجبات والسنن والرغائب والمحذورات المكروهات من أقسامه الثلاث والله أعلم".اهـ

كتاب القاضي هذا الذي سمّاه بـ **المقاصد الحسان فيما يلزم الإنسان**، كما قال ابن القاضي نفسه، قال أنّ هذا الكتاب في عداد المفقودات.

وقال النووي أيضا رحمه الله عند شرحه لهذا الحديث قال: " واعلم أنّ هذا الحديث يجمع أنواعا من العلوم المعارف والآداب واللطائف، بل هو أصل الإسلام كما حكيناه عن القاضي" اهـ وقد ذكر كلام القاضي الذي ذكرناه الآن.

وقال القرطبي رحمه الله: كما نقله عنه ابن حجر في فتح الباري قال: "وهذا الحديث يصلح أن يقال له أمُ السنّة لما تضمنه من جمل علم السنة".

وقال ابن دقيق العيد رحمه الله في شرحه على الأربعين: " فهو كالأم للسنة، كما سميت الفاتحة أمَّ القرآن، لما تضمنته من جمعها معاني القرآن".

يعني كما أنّ الفاتحة يعني جمعت معاني القرآن أو جُمعت معاني القرآن فيها، فسميت بأمّ القرآن فكذلك هذا الحديث لما جمع مراتب الدين الثلاث وهي الإسلام والإيمان والإحسان، يعني صلُح بأن يسمي بأمّ السنة وهذه لطيفة ينبغي لطالب العلم أن يعلمها.

الإمام مسلم رحمه الله عند إخراجه لهذا الحديث في صحيحه ذكر له قصة، لما ذكر الإسناد قال:

" عن يحيى بن يعمر قال :كان أوّل من قال بالقدر في البصرة معبد الجهنيِّ"،

يعني أوّل ما ظهرت بدعة القدرية ظهرت بالبصرة في العراق وكان يعني حامل لوائها، أو من عُرف بها هو معبد الجهني،

قال :"فانطلقت أنا–يعني يحيى–و حميد بن عبد الرحمن الحميري حاجّين أو معتمرين"،

يعني انطلقا إلى مكة قاصدين بيت الله الحرام يعني للحجّ أو العمرة،

فقال: "لو لقينا أحدا من أصحاب رسول الله ﷺ سألناه عمّا يقول هؤلاء في القدر"،

يعني أنه تمنى وأراد أن يلتقي بواحد من أصحاب رسول الله ﷺ فيسأله عن هذه المقولة التي قيلت في القدر وستأتي ما هي، انظر إلى حرص التابعين رحمهم الله على السؤال عن دينهم وعلى سؤال أهل العلم الثقات، وكانوا يعني آنذاك الصحابة أو من بقي حيّا منهم، لأنّ عبد الله بن

عمر يعني توّفيَ سنة ثلاث وسبعين للهجرة ،فهكذا ينبغي أن يكون طالب العلم.

طالب العلم ينبغي إذا سمع مقولة ارتابت منها نفسه وشك فيها وظن أنّ فيها خللا وزللا، لا ينبغي أن يصدقها ويمشي معها ويمشّيَها، لا، ينبغي عليه أن يسأل عنها،

كذلك لا ينبغي له التسرع في الرد عليها، لأنه يعني قد يريد الرد عليها و يأتي بما هو أعظم منها في الشرّ، ولذلك ينبغي على الإنسان أن يَكِل الأمر إلى أهله، وأن يسأل أهل العلم عن أمور دينه وخاصة عن الأمور يعني المحدثة، الأمور التي تَجِدُّ، المقولات التي تجد وما أكثرها في زماننا هذا!

والله تبارك وتعالى يقول ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل/٤٣] فأمر من ليس مِن أهل الذكر أو من لا يدخل في أهل الذكر أن يسأل أهل الذكر، والإنسان إذا لم يكن من العلماء أو من الذين لديهم علم بالكتاب والسنة فلابد عليه أن يرجع إلى أهل العلم حتى يسألهم عما أشكل عليه من أمور دينه.

قال رحمه الله: "فوُفّق لنا عبد الله بن عمر بن الخطاب رضي الله عنه داخلا المسجد، قال: فاكتنفته أنا وصاحبي"

يعني جعلاه في وسطهما ،

كما قال "أحدنا عن يمينه والآخر عن شماله"، اكتنفاه أي جعلاه في وسطهما،

قال: "فظننت أن صاحبي سيكل الكلام إليّ فقلت: أبا عبد الرحمن..."،

انظروا هنا إلى جميل الأدب وأنه يعني يحيى لم تكن نيته أن يسبق صاحبه بالكلام، لما رأى أنّ صاحبه سكت برهة من الزمن ظن أنّه سيكل الكلام إليه فتكلم هو وطرح سؤاله على عبد الله بن عمر ﷺ،

فقال: "أبا عبد الرحمن!..." :يعني يا أبا عبد الرحمن ناداه بكنيته وهذا فيه استحباب مناداة الغير بالكنية.

فقال: "إنه قد ظهر قبلنا ناس يقرأون القرآن و يتقفرون العلم"،

ومعنى يتقفرون العلم أي يطلبون مسائله الدقيقة والمسائل الغامضة، هذا معنى يتقفرون العلم، هذه الأمور هي التي جعلتهم يغترون بهم، فقراءتهم للقرآن دلت على أنهم كانوا على جانب

من التقوى واتباعهم للعلم والمسائل الدقيقة وغير ذلك جعلت الناس يغترّون بهم،
ولا ينبغي للإنسان أن يغترّ بهذه الأمور، بل الواجب عليه أن يسأل أهل العلم الثقات عن أمور دينه ولا يعرض دينه لكل من هب ودبّ، بل يعني يتخير أهل العلم الثقات الذين لهم تزكيات والذين اشتُهروا بالعلم و اشتهروا بالتقوى واشتهروا بالمروءة إلى غير ذلك.
ثم قال رحمه الله -الكلام دائما ليحيى بن يعمر رحمه الله وغفر له- قال:
"ناس يقرأون القرآن و يتقفّرون العلم وذكر من شأنهم وأنهم يزعمون أن لا قدر وأنّ الأمر أنف"،
يعني هذه مقالتهم، يزعمون أن لا قدر وأن الأمر أنف،

- يعني لا يوجد شيء اسمه قدر وأنّ الله تعالى لم يقدر شيئا،
- وأنّ الأمر أنف أي مستأنف، يعني أن الله تبارك وتعالى لا يعلم بالشيء إلا بعد حدوثه و أنه لم يقّدر شيئا سبحانه وتعالى عمّا يقوله هؤلاء القدرية،

ولذلك كفرهم أهل العلم، الآيات التي في القرآن صريحة وكثيرة في إثبات علم الله تبارك وتعالى وأنّه سابق لكلّ شيء وأنّه من صفات الله تبارك وتعالى الذاتية وأنّ الله علم كل ما كان وما سيكون وما لم يكن لو كان كيف يكون، فأتى هؤلاء ونفوْا العلم عن الله تبارك وتعالى ونفوْا تقدير الله تبارك وتعالى لما هو كائن، ونسبوا الله تبارك وتعالى إلى الجهل، وقالوا أنه لا يعلم بالأشياء إلا بعد حدوثها سبحانه وتعالى، وهذا كذب على الله و تكذيب لصريح القرآن وسيأتي الكلام في مرتبة العلم في الإيمان بالقدر، لكن لا بأس أن نذكر بعض الآيات التي فيها ذكر علم الله تبارك وتعالى مثل قوله تعالى ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة/٢٨٢]
وقوله ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك/١٤]
وأيضا في قوله تعالى ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ [الأنعام/٥٩]
فهذه الآيات كلها فيها ذكر الإيمان أو فيها ذكر علم الله تبارك وتعالى السابق لكلّ شيء،
وهذه الطائفة التي أنكرت علم الله تبارك وتعالى وبالأحرى أنكرت علم الله تبارك وتعالى وأنكروا

الكتابة ،اسمهم **القدرية الغلاة** وهؤلاء هم الذين كفرهم أهل العلم لما سبق؛ لأنهم كذبوا صريح القرآن، وأنكروا علم الله تبارك وتعالى، وهم القدرية الغلاة وعلى رأسهم **معبد الجني و عمرو بن عبيد** وغيرهم،

لكن هؤلاء الآن لم يعد لهم وجود كما قاله بعض العلماء،

والصنف الثاني من القدرية هم الذين يثبتون العلم والكتابة لكنهم ينكرون مشيئة والخلق وسيأتي الكلام عنهم في باب الإيمان بالقدر فيما بعد إن شاء الله.

ثم قال ابن عمر ﷺ: "فإذا لقيت أولئك أخبرهم أني برئ منهم وأنهم برآء مني والذي يحلف به عبد الله بن عمر لو أنّ أحدهم مثل أحد ذهبا فأنفقه ما قبل الله منه حتى يؤمن بالقدر" ثمّ ذكر الحديث

وابن عمر ﷺ مباشرة لمّا نقل لهم كلامهم قال ما قال تبرأ منهم وأخبرهم أن يخبروهم أنه يتبرأ منهم، وصنيعه هذا كما قال بعض أهل العلم يدلّ على أنه رأى تكفيرهم يعني لما سبق لأنهم يكذبون القرآن وينكرون علم الله تبارك وتعالى.

فالحاصل من هذا أنّ الإيمان بالقدر ركن من أركان الإيمان، وسيأتي الكلام عنه وأنّ الصحابة رضوان الله عليهم لم يكونوا يتساهلون مع مثل هذه الأمور والتابعون رحمهم الله كانوا يرجعون إلى الصحابة في مثل هذه الأمور، وهذا أكبر درس لطالب العلم وهو أن يرجع لأهل العلم فيما أشكل عليه في مسائل العلم وفي المقولات الحادثة وفي الأمور التي تحدث ولا يجد لها جوابا ولا يكون له فيها مستند من علم.

وقد ذكرت في الدرس الماضي عند ذكر ترجمة النووي رحمه الله أنه كان أشعريا وأنه يعذر بذلك لكن نبهني بعض الإخوة جزاهم الله خيرا، على أنّ المميّعة لهم شبهة تشبه هذا وهي أنّهم يعذرون بعض رؤوس أهل البدع في زماننا هذا ويقولون كانوا مجتهدين، و يتحججون بالنووي وابن حجر رحمهم الله، ولشيخنا حفظه الله في تعليقه على كتاب الأجوبة المفيدة للشيخ الفوزان رد على هذه الشبهة فليراجعها الإخوة جزاهم الله خيرا، يعني حسب ما أظن في الشريط قبل الأخير من تعليق شيخنا حفظه الله على أجوبة الشيخ الفوزان.

قال عبد الله بن عمر ﷺ: **"حدثني أبي عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر**

السفر ولا يعرفه منا أحد".

فعمر ﷺ هنا يعني يذكر أنهم كانوا في يوم من الأيام جلوسا عند رسول الله ﷺ،

وعمر ﷺ كان حريصا على حضور مجالس النبي ﷺ،

وعمر كان يسكن في عوالي المدينة وكان ينزل يوما و جاره في اليوم الذي يليه، ومن يكون دوره في حضور مجلس النبي ﷺ ينقل ما سمعه إلى الآخر، فهذا حرص منهم رضي الله عنهم على حضور مجالس رسول الله ﷺ والاستفادة منها وعلى نشر ما استفادوه فيما بينهم، وهذا يجب أن يكون ديدن طالب العلم، يجب عليه أن يحرص على حضور مجالس العلماء و طلاب العلم المستفيدين، وأن يستفيد من علمهم ومن سمتهم ومن دلهم ومن أخلاقهم، وأن يعمل بذلك و إذا كان هناك جماعة من طلاب العلم ولا يستطيعون الحضور كلّ يوم فلا بأس أن يفعلوا كما يفعل عمر وجاره، فينقل أحدهم إلى الآخرين ما سمعه في الحلقة لكن بشرط أن يضبط الكلام.

فقال عمر :"بينما نحن عند رسول الله ﷺ ذات يوم إذ طلع علينا رجل"،

وصف هذا الرجل وأبهمه قال رجل لأنه لم يكن يعرفه،

فقال: "شديد بياض الثياب" وصف ثيابه بأنها شديدة البياض وشديد سواد الشعر ، وصفه بوصفين

ثم قال بعدها: "لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد" يعني كأن الوصفين متناقضين عند عمر، إذا كان لا يعرفه منا أحد، يعني في مجلسهم، وكان أيضا ليس من جماعة رسول الله ﷺ، لم يكن يعرفه فلابد أن يكون مسافر، فإذا كان الانسان مسافرا فلابد أن تظهر عليه آثار السفر، فتكون ثيابه متسخة قليلا ويكون الشعر مغبرا، لكن هذا الرجل كان على خلاف ذلك، كانت ثيابه شديدة البياض وكان شعره شديد السواد يعني ليس عليه أثر السفر فكأن الوصفين متناقضين ،فلفت هذا انتباه عمر ﷺ ،

ثم قال: "حتى جلس إلى النبي ﷺ" يعني دخل إلى مجلسهم وتقدّم حتى جلس إلى النبي ﷺ، و(إلى) هنا تفيد الانتهاء، تفيد أنه جلس بالقرب من النبي ﷺ ،حاذى النبي ﷺ، وبيّن هذا فقال: " فأسند ركبتيه إلى ركبتيه"، يعني ألصق ركبتيه، جبريل عليه السلام ألصق ركبتيه بركبتي

النبي ﷺ.

قال: "ووضع كفيه على فخذيه". هنا اختلف العلماء:

- منهم من قال وضع كفيه على فخذيه يعني وضع جبريل كفيه على فخذيه، على فخذ نفسه،
- ومنهم من قال وضع كفيه على فخذيه أي على فخذي النبي ﷺ،
- وقد رجّح ابن حجر رحمه الله هذا في الفتح فقال: " وَفِي رِوَايَةِ لِسُلَيْمَانَ التَّيْمِيِّ لَيْسَ عَلَيْهِ سَحْنَاءُ السَّفَرِ وَلَيْسَ مِنَ الْبَلَدِ فَتَخَطَّى حَتَّى بَرَكَ بَيْنَ يَدَيِ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا يَجْلِسُ أَحَدُنَا فِي الصَّلَاةِ ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رُكْبَتَيِ النَّبِيِّ ﷺ "، وهذا شاهد، ثم وضع يده على ركبتي النبي ﷺ " وَكَذَا فِي حَدِيث بن عَبَّاسٍ وَأَبِي عَامِرٍ الْأَشْعَرِيِّ ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى رُكْبَتَيِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَأَفَادَتْ هَذِهِ الرِّوَايَةُ أَنَّ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ على فَخذيهِ يَعُودُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَبِهِ جَزَمَ الْبَغَوِيُّ وَإِسْمَاعِيلُ التَّيْمِيُّ لِهَذِهِ الرِّوَايَةِ..." إلى آخر كلامه رحمه الله، فرجّح أن جبريل عليه السلام وضع كفيه على فخذ النبي ﷺ، وعلّل هذا فقال: -يعني لماذا صنع جبريل هذا- قال: " وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ أَرَادَ بِذَلِكَ الْمُبَالَغَةَ فِي تَعْمِيَةِ أَمْرِهِ لِيُقَوِّيَ الظَّنَّ بِأَنَّهُ مِنْ جُفَاةِ الْأَعْرَابِ وَلِهَذَا تَخَطَّى النَّاسَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ... " .انتهى كلام ابن حجر رحمه الله.

يعني يقول أن جبريل إنما فعل ذلك حتى يقوى الظن، يعني ظن من كان حاضرا في المجلس أنه من جفاة الأعراب، لذلك سيأتي أنه نادى النبي ﷺ باسمه فقال يا محمد أخبرني عن الإسلام ، والعادة أنهم كانوا ينادون النبي ﷺ بوصف الرسالة أو النبوة؛ يقولون يا رسول الله أو يقولون يا نبي الله، ولم يكونوا ينادونه باسمه إلا إذا كان هذا المنادي من الأعراب،

فالأعراب كانوا معروفين بمناداة النبي ﷺ باسمه، فإذا نادى رجل النبي ﷺ باسمه علموا أنه أعرابي، وهذا ما فعله جبريل حتى يعني يعمي أمره ويظن أنه من الأعراب، وهذا فيه فوائد كثيرة قد نذكر بعضها :

- فيه أن الملائكة يعني قد تتشكل على صورة بشر.

كما حصل هنا من جبريل عليه السلام، وجبريل عليه السلام كان من قبل يأتي النبي ﷺ على صورة دحية الكلبي الصحابي

وجبريل عليه السلام قد جاء في القرآن أنه جاء لمريم عليها السلام وتشكل لها وتصور لها على هيئة بشر أيضا

وجاء في القرآن أن الملائكة جاءت إلى إبراهيم عليه السلام على صورة بشر،

وجاءت إلى لوط على صورة بشر، وهم يتحولون بقدرة الله تبارك وتعالى، من صورتهم ومن هيئتهم، يعني قد ذكر الله تبارك وتعالى أنّ لهم أجنحة كما في قوله تعالى ﴿جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا أُولِي أَجْنِحَةٍ مَثْنَى وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ﴾ [فاطر/١]

وجاء أنّ جبريل عليه السلام رآه النبي ﷺ قد سد الأفق وله ستمائة جناح ، ومع ذلك تحول بقدرة الله تبارك وتعالى إلى بشر، هذه النقطة الأولى.

- النقطة الثانية: هي أن تصرف جبريل مع النبي ﷺ ينبغي أن يعتني به طالب العلم.

لماذا ؟ لأنّ جبريل لما كان له سؤال أو أراد أن يسأل النبي ﷺ لم يأت لحلقة النبي ﷺ وجلس في الأخير وأراد أن يطرح السؤال، بل أتى واقترب من النبي ﷺ وهذا فيه استحباب القرب من المسؤول أو من الشيخ لماذا؟

- لأن القرب من الشيخ أولا ييسر لك السؤال،
- وثانيا لا يلزمك رفع الصوت حتى تطرح السؤال
- وثالثا فيه سهولة الفهم إذا خاطبك الشيخ وأراد أن يفهمك الإجابة فلن تكون بعيدا،

تخيلوا الحلقات، حلقات المشايخ التي تكون كبيرة ويبعد فيها الطالب عن الشيخ كثيرا فحتى تصله الإجابة ويفهمها جيدا وحتى يسمعها جيّدا، لابد أن يقترب من الشيخ قدر الإمكان. هذا الأمر الثاني.

- والأمر الثالث: في هذا الباب أن الإنسان قد يسأل مثل ما صنع جبريل وسيأتي أنه سأل عن أمور كان يعلم أجوبتها،

فالإنسان إذا رأى مَن معه لا يحسنون ولا يعلمون جوانبا من العلم وهو يعلمها فلا بأس أن يسأل الشيخ عنها حتى يستفيد الحضور، مثل ما فعل جبريل عليه السلام حتى إن النبي ﷺ قال في آخر الحديث **هذا جبريل آتاكم يعلمكم أمر دينكم**، فنسب التعليم إلى جبريل مع أن النبي ﷺ

هو الذي كان يجيب لكن لما كان جبريل هو الذي طرح الأسئلة وكان هو السبب المباشر في تعليمهم هذه الأمور نسب إليه النبي ﷺ أمر التعليم.

ثم قال ﷺ: **"قال يا محمد أخبرني عن الإسلام فقال رسول الله ﷺ: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمدا رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتيَ الزكاة وتصوم رمضان وتحجّ البيت إن استطعت إليه سبيلا قال صدقت قال فعجبنا له يسأله ويصدقه".**

يعني أن جبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ عن الإسلام فلما أجابه النبي ﷺ قال له جبريل صدقت، وكأنّ جبريل عليه السلام كان يعلم الإجابة قبل أن يجيب النبي ﷺ، لذلك قال عمر بعدها **فعجبنا له يسأله ويصدقه**، يعني تعجبوا كيف يسأل والمفروض أن السائل لا يعلم الإجابة، لكن لما قال له صدقت كأنه كان يعلم الإجابة فأصاب النبي ﷺ لما أجابه بما أجاب فقال له صدقت، فهذا يعني ممّا زاد الغموض حول حال هذا الرجل.

الكلام عن أركان الإسلام التي ذكرها النبي ﷺ هنا سأتركه إلى حديثنا القادم وهو حديث ابن عمر وهو الحديث الثالث من أحاديث الأربعين النووية ولا داعيَ إلى الكلام عليها هنا،

لكن ننبه إلى أن النبي ﷺ لما سئل عن الإسلام أجاب و فسره بالأمور الظاهرة، يعني الأمور التي ذُكرت في تعريف الإسلام كلها أعمال ظاهرة،

الشهادتان يعني من عمل اللسان والصلاة وباقي الأركان كلها عبادات ظاهرة كلها أمور ظاهرة، بينما لما سأله كما سيأتي عن الإيمان أجابه عن الأمور الباطنة وعرّف الإيمان بالأمور الباطنة.

يقول العلماء: اسم الإسلام واسم الإيمان من الأسماء التي إذا اجتمعت افترقت وإذا افترقت اجتمعت، يعني:

- اسم الإسلام إذا أفرد ولم يضم إليه اسم الإيمان دل على الإيمان وشمل الإيمان.
- وكذلك اسم الإيمان إذا أفرد أو إذا استُعمل وحده شمل الإسلام أيضا،
- لكن إذا ذكر الإيمان والإسلام كان لكل منهما معناه وكان –يعني- الإسلام يشمل العبادات الظاهرة والأمور الظاهرة ويشمل الإيمان العبادات الباطنة كما ذكر في هذا الحديث،

هذا تفصيل الكلام حول الإسلام والإيمان كما يذكره العلماء في شروحهم.

ثم قال ﷺ: **"فأخبرني عن الإيمان قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر**

وتؤمن بالقدر خيره وشره قال صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟ قال: أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن يراه فإنه يراك".

جبريل عليه السلام يسأل النبي ﷺ عن الإسلام والنبي ﷺ يجيبه بذكر أصول الإيمان الستة.

الإيمان عند أهل السنة والجماعة اعتقاد بالقلب وقول باللسان وعمل بالجوارح فهو يتكون من هذه الأمور الثلاثة ولا يصح إلا بها مجتمعة

فلا إيمان بدون عمل، خلافا لما تدعيه المرجئة وسيأتي ذكرهم وذكر طوائفهم واعتقاداتهم.

ومن الأدلة على أن الإيمان قول وعمل واعتقاد وأنّه يزيد بالطاعة وينقص بالمعصية قوله تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ (٢) الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ (٤) ﴾ [الأنفال/٢-٤]

في هذه الآية ذكر الله عز وجل أن أعمال القلوب و أعمال الجوارح داخلة في الإيمان،

قال الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ وهذه من أعمال الجوارح،

وذكر وجل القلب عند ذكر الله تبارك وتعالى هذا من عمل القلوب ،

وفيه أنّ الإيمان يزيد وجاء أيضا في الحديث عن أبي هريرة عند مسلم قوله ﷺ "الإيمان بضع وسبعون شعبة أو بضع وستون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان"

فجاء في الحديث عن الأمور الثلاثة فيه القول **لا إله إلا الله** وفيه إماطة الأذى الذي هو العمل وفيه الحياء وهو داخل في عمل القلب،

ومن الأدلة أيضا على أن الإيمان يزيد قوله تبارك وتعالى {فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ [التوبة/١٢٤] فيه دليل يعني على أنّ الإيمان يزيد

وفي حديث أبي سعيد عند البخاري ومسلم فيه قول النبي ﷺ ما رأيت من ناقصات عقل و دين

أذهب للب الرجل الحازم من إحداكن أو بنحو هذا اللفظ، ففيه وصف النساء بأنهنّ ناقصات عقل ودين ونقصان الدين هو نقصان في الإيمان.

ذكر الحافظ في فتح الباري قال: "وروى اللالكائي بسند صحيح عن البخاري رحمه الله قال: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار – يعني في البلدان – فما رأيت أحدا منهم يختلف في أن الإيمان قول وعمل يزيد وينقص. وأطنب ابن أبي حاتم و اللالكائي في نقل ذلك بالأسانيد عن جمع كثير من الصحابة والتابعين وكل من يدور عليه الإجماع من الصحابة والتابعين وحكاه الفضيل ابن عياض و وكيع عن أهل السنة والجماعة".

فالبخاري يقول أنه لقي أكثر من ألف رجل من العلماء، أكثر من ألف عالم، فما رأيت أحدا منهم يختلف في أنّ الإيمان قول وعمل،

والسلف منهم من كان يعبّر عن الإيمان بهذا: أنه قول وعمل، يقصد بالقول قول القلب وقول اللسان وبالعمل عمل القلب وعمل الجوارح، وهذا يتفق مع التعريف الذي ذكرناه وأنه يزيد وينقص، هذا هو التعريف الصحيح للإيمان عند أهل السنة والجماعة.

ومن الفرق التي خالفت في باب الإيمان: المرجئة، سموا مرجئةً لأنهم أرجأوا العمل عن مسمى الإيمان، معنى أرجؤوا العمل: أخّروا العمل وأخرجوه عن مسمى الإيمان لهذا سمّوا مرجئة،

والمرجئة هؤلاء ينقسمون إلى أربع طوائف:

- الطائفة الأولى: تعرِّفُ الإيمان بأنه مجرد المعرفة، إذا عرفت الله بقلبك فأنت مؤمن كامل الإيمان عند هؤلاء،

وهذا القول هو قول الجهمية وهو أقبح الأقوال كما ترى، فعلى قولهم هذا فرعون مؤمن لأنه عرف الله تبارك وتعالى بقلبه وكذا إبليس مؤمن لأنه عرف الله بقلبه.

- القول الثاني أو الطائفة الثانية من طوائف المرجئة: تقول الإيمان هو التصديق بالقلب إذا صدّقت بقلبك فأنت مؤمن كامل الإيمان عندهم،

وهذا قول الأشاعرة ،إذا صدقت بقلبك فأنت مؤمن ولو لم تنطق ولو لم تشهد بأن لا إله إلا الله بلسانك ولو لم تعمل أي عمل بجوارحك فأنت مؤمن كامل الإيمان عند هؤلاء.

- القول الثالث: قول الكرامية وهؤلاء يقولون أن الإيمان هو النطق باللسان فقط، ولو لم

يصحبه اعتقاد بالقلب ولا عمل،

إذا نطقت بلسانك وشهدت أن لا إله إلا الله ولو لم تؤمن بقلبك فأنت مؤمن كامل الإيمان عندهم، فالمنافقون مؤمنون على حسب قولهم!

- الطائفة الرابعة: وهي مرجئة الفقهاء فهؤلاء يعرّفون الإيمان أنه اعتقاد بالقلب ونطق باللسان لكنهم يخرجون العمل من مسمى الإيمان،

ويقولون أنّ من اعتقد ونطق فهو مؤمن، وهذا أيضا مخالف لما عليه أهل السنة والجماعة .

إذا تقرر هذا فنرجع إلى أصول الإيمان الستة المذكورة في الحديث من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والإيمان بالقدر خيره وشره، هذه الأصول الستة جاء ذكرها في كتاب الله عزّ وجلّ عند قوله تعالى ﴿ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين﴾ [البقرة/١٧٧]

وجاء ذكر القدر في قوله تعالى ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ﴾ [القمر/٤٩] فهذا الدليل من الكتاب على هذه الأركان الستة.

الإيمان بالله يتضمن أمورا أربعة:

١- يتضمن الإيمان بوجوده سبحانه وتعالى.

٢- الإيمان بربوبيته.

٣- الإيمان بألوهيته.

٤- الإيمان بأسمائه وصفاته سبحانه وتعالى.

فمن لم يؤمن بوجود الله تبارك وتعالى فليس بمؤمن،

وللإيمان بالله لابد من الإيمان بوجوده ولابد من الإيمان بربوبيته وهي أن يقرّ الإنسان بأن الله تبارك وتعالى واحد في أفعاله لا شريك له،

وأفعاله سبحانه وتعالى كثيرة كالخلق والرزق والإحياء والإماتة والتدبير وغيرها،

أما الإيمان بألوهيته سبحانه وتعالى فهي أن يُوَحَّد الله تبارك وتعالى بالعبادة أو أن نوحده يعني بأفعالنا يعني بأفعال العباد،

والعبادات كثيرة منها الدعاء والخوف والرجاء والإنابة والاستعانة والاستعاذة والاستغاثة وغيرها، فلا يجوز صرف أي شيء من أنواع العبادة لغير الله تبارك وتعالى ومن صرف شيئا من أنواع العبادة لغير الله فهو مشرك كافر،

أمّا الإيمان بأسمائه وصفاته فهو أن نثبت لله تبارك وتعالى كل ما أثبته لنفسه سبحانه وتعالى وما أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل.

أما الإيمان بالملائكة:

فالملائكة جمع ملك والملك مأخوذ أو مشتق من الألوكة وهي الرسالة.

قال ابن جرير الطبري رحمه الله: فسميت الملائكة ملائكة بالرسالة لأنها رسل الله بينه وبين أنبيائه ومن أرسلت إليهم من عباده .انتهى كلامه رحمه الله.

والملائكة عالم غيبيٌّ خلقهم الله تبارك وتعالى من نورٍ كما جاء في الحديث عن النبي ﷺ أنه قال: "خلقت الملائكة من نور وخلق الجآن من مارج من نار وخلق آدم مما وصف لكم"،

يعني من طين، فهم عالم غيبيٌّ لا نراهم وإنما نرى منهم من أذن الله له في التصور على صورة كما جاء في حديث جبريل و وصفهم الله تبارك وتعالى في كتابه أن لهم أجنحة كما جاء في قوله تعالى ﴿أولي أجنحة مثنى وثلاث ورباع﴾ ،

وكما قلنا جاء في الحديث في وصف جبريل عليه السلام "أنّ له ستمائة جناح"

وجاء أيضا في الآية أن لهم قلوبا كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ [سبأ/٢٣]

- ومن الأمور التي يجب علينا أيضا أن نؤمن بها في الملائكة أنّ عددهم كثير جدا لا يحصيهم إلا الله تبارك وتعالى،

قد جاء في حديث البيت المعمور وهو البيت الذي في السماء السابعة أنّه كل يوم يدخله سبعون ألف ملكا ولا يعودون إليه ،يعني يدخل البيت المعمور كلّ يوم سبعون ألف ملكا، يطوفون به ثم لا يعودون إليه وهذا يدل على أنّ عددهم كثيرا وكبير جدا،

- ومن الأمور أيضا التي يجب الإيمان بها في الملائكة أن لهم أسماء.

فيجب أن نؤمن بأسماء من علمنا منهم كجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت ومالك ورضوان إلى غير ذلك،

- وأن لهم أيضا أعمالا موكلين بها فيجب أن نؤمن بما علمنا من أعمالهم

كجبريل موكل بالوحي وملك الموت موكل بقبض الأرواح وإسرافيل هو الموكل بالنفخ في الصور ميكائيل هو الموكل بالقطر ومالك خازن النار ورضوان خازن الجنة إلى غير ذلك، ومنكر ونكير إن صحّ الحديث في تسميتهما وهما الملكان اللذان يسألان العبد في قبره من ربك ومن دينك ومن نبيك إلى غير ذلك مما يجب الإيمان به أيضا في حق الملائكة.

أما ما يخصّ الإيمان بالكتب

- فيجب الإيمان بأنّ الله تعالى أنزل كتبا على رسله منها ما سمي في القرآن ومنها ما لم يسم والذي سمي في القرآن: القرآن والتوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم وموسى هذه كلها جاء تسميتها في القرآن فيجب الإيمان بها بالتفصيل،

- ويمتاز القرآن على غيره من الكتب بأنّ الله تبارك وتعالى تكفّل بحفظه من التحريف ومن التغيير والتبديل، قال سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر/٩]

- ويمتاز أيضا بأن الله تبارك وتعالى أنزله منجما مفرقا على حسب الحوادث وبأنّه كتاب جاء مهيمنا على الكتب السابقة كما قال عزّ وجلّ ﴿وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ﴾ [المائدة/٤٨]

- أيضا يجب أن نؤمن بما جاء في القرآن على سبيل التفصيل،

فنصدق الأخبار التي جاءت عن الأمم السابقة وما سيكون يوم القيامة وغيرها، فهذه الأخبار يجب أن تصدق،

فيه أوامر ونواهي، الأوامر لابد أن تفعل والنواهي لابد أن تجتنب،

وأيضا وصفه الله تبارك وتعالى وتحدى أهل الفصاحة والبلاغة على أن يأتوا بسورة مثله كما

قال عزّ وجلّ ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا (٨٨) ﴾ [الإسراء/٨٨]

فالله عّز وجلّ تحدى في هذه الآية أهل الفصاحة وأهل البلاغة بأن يأتوا بمثله ولن يستطيعوا لأنه المعجزة الخالدة من الله تبارك وتعالى.

يأتي بعده الإيمان بالرسل،

- الإيمان بالرسل يقتضي بأن نؤمن أنّ الله تبارك وتعالى اصطفى رجالا من عباده يأتون الناس،

اصطفاهم لهداية الناس ولإخراجهم من الظلمات إلى النور ولكي يبيّنوا لهم طريق الحق ويهدوهم إليه ويبلغوهم مراد الله تبارك وتعالى، كما قال عزّ وجلّ ﴿ اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ ﴾ [الحج/٧٥]

فالله تبارك وتعالى اصطفى هؤلاء حتى يبلغوا دينه للناس، كلّفهم بهذا التبليغ بأن يبلغوا دينه للناس كما قال الله تبارك وتعالى في كتابه ﴿ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ (٣٥) ﴾ [النحل/٣٥]

وقال أيضا ﴿ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَاةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّانِيُّونَ وَالْأَحْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ ﴾ [المائدة/٤٤]

وكما قال الله تعالى ﴿ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ ﴾ [المائدة/٦٧]

فهذه وظيفة الأنبياء والرسل،

وقد فرق بعض أهل العلم بين النبي والرسول:

بأن النبي يرسل إلى قوم موافقين وأن الرسول يرسل إلى قوم مخالفين

خلافا لما قاله بعضهم؛ قال الفرق بينهم أنّ الرسول هو من أوحيَ إليه بشرع وأمر بتبليغه والنبي

لم يؤمر بالتبليغ

فرد عليهم أصحاب القول الأول وقالوا لا نعلم أنّ الله تبارك وتعالى أوحى لشخص وأمره بالمكوث في البيت وعدم التبليغ،

والصواب الأول، يعني كلٌ من النبي والرسول أمر بالتبليغ لكن الرسول أرسل إلى قوم قد يكونوا موافقين له وقد يكونوا مخالفين بينما النبي يرسل إلى قوم موافقين.

والرسل منهم من ذكره القرآن وقُصَّ علينا في القرآن ومنهم لم يقصص علينا كما قال الله عزّ وجلّ [ورسلا قد قصصناهم عليك ورسلا لم نقصصهم عليك]

والذين ذُكروا في القرآن خمسة وعشرين رسولا منهم ثمانية عشرة جاء ذكرهم في سورة الأنعام بعد قوله ﴿ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ ﴾ [الأنعام/٦٣]

ويبقى سبعة وهم آدم وإدريس وهود وصالح وشعيب وذو الكفل ونبينا محمد ﷺ.

- الفروق التي بين نبينا محمد ﷺ وباقي الأنبياء:

أنّ الأنبياء كانوا يرسلون إلى أقوامهم خاصة ونبينا محمد ﷺ أرسله إلى الناس كافة وينبغي التنبيه أن من كذب برسول واحد فقد كذب بجميع الرسل كما قال الله عزّ وجلّ ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ (١٠٥) ﴾ [الشعراء/١٠٥] وقال أيضا ﴿ كَذَّبَتْ عَادٌ الْمُرْسَلِينَ (١٢٣) ﴾ [الشعراء/١٢٣] و﴿ كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ (١٤١) ﴾ [الشعراء/١٤١] و ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ (١٦٠) ﴾ [الشعراء/١٦٠]

فدائما يقول المرسلين المرسلين مع أن المكذَّب هو رسول واحد، وذلك للدلالة على أن من كذب رسولا واحدا فقد كذّب جميع الرسل.

الأصل الخامس من أصول الإيمان هو الإيمان باليوم الآخر،

- الإيمان باليوم الآخر يقتضي الإيمان بكل ما يكون بعد الموت
- لأنّ من مات فقد قامت قيامته،

- ولأن الدور دارين: دار الدنيا ودار الآخرة

وكل ما يكون بعد الموت فهو تابع للدار الآخرة،

والحياة بعد الموت:

- منها حياة برزخية وهي التي تكون بعد الموت إلى البعث،
- وبعد البعث تأتي الحياة الأُخروية.

- ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بعذاب القبر ونعيمه وبفتنة القبر

والدليل من الكتاب على عذاب القبر قوله تبارك وتعالى عن فرعون وأتباعه ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ (٤٦) ﴾ [غافر/٤٦]

فالنار التي كانوا يعرضون عليها غدوا وعشيا كانت قبل قيام الساعة وهذا يكون في الحياة البرزخية أي في القبر،

والدليل من السنة قوله ﷺ لما مرّ على قبرين وسمع صوت صاحبيهما وهما يعذبان قال: "إنهما يعذبان وما يعذبان في كبير، بلى إنّه لكبير، أما أحدهما فكان لا يستتر من بوله وأما الآخر فكان يمشي بين الناس بالنميمة"، ومن الأدلة حديث البراء بن عازب المشهور وموضوعه حول سؤال الملكين لمن يوضع في قبره من ربك ومادينك ومن نبيّك.

- ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالبعث بعد الموت،

ودليله قوله تبارك وتعالى ﴿ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٧) ﴾ [التغابن/٧]

وقوله تبارك وتعالى ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ بَلَى وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٨) ﴾ [النحل/٣٨]

فهذه أدلة فيها إثبات البعث بعد الموت وأنّه حقٌ.

- ومن الأمور التي ينبغي أيضا الإيمان بها مما تتعلق بالإيمان باليوم الآخر أن الله تبارك

وتعالى ينصب الموازين يوم القيامة

وذلك لوزن أعمال العباد فمن كثرت موازينه نجا ومن خفت موازينه هلك وأنّ الموزونات ثلاثة يوم القيامة، يوزن الإنسان ويوزن عمله وتوزن الصحائف، صحائف الأعمال.

- ومن الإيمان باليوم الآخر الإيمان بالصراط

وهو الجسر المنصوب على ظهر جهنم أو على متن جهنم، يمر عليه المسلمون للوصول إلى الجنة، وكلٌ يمر على حسب أعماله، مِن الناس مَن يمر كالبرق، ومنهم من يمر كالريح ومنهم من يزحف زحفا، إلى غير ذلك .

- ومن الإيمان أيضا باليوم الآخر الإيمان بالشفاعة التي تكون يوم القيامة،

فيشفع النبي ﷺ، ويشفع الأنبياء والصالحون والشهداء كما جاء في الأحاديث والآثار وليس هذا محل بسط هذه الأمور.

أما الأصل السادس من أصول الإيمان وهو الإيمان بالقدر خيره وشره،

وهذا الأصل جاء ذكره في أدلة الكتاب والسنة منها قول الله تبارك وتعالى ﴿ إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ (٤٩) ﴾ [القمر/٤٩]

وقوله سبحانه وتعالى ﴿ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) ﴾ [الحديد/٢٢]

الإيمان بالقدر له أربع مراتب:

- المرتبة الأولى العلم
- والمرتبة الثانية الكتابة
- والمرتبة الثالثة المشيئة
- والمرتبة الرابعة الخلق،

وقد أحسن الحافظ ابن رجب تلخيصها والكلام عليها وجعلها في درجتين كل درجة تحتوي على مرتبتين:

- الدرجة الأولى تحتوي على مرتبتي العلم والكتابة
- والدرجة الثانية فيها مرتبتي المشيئة والخلق

قال رحمه الله:

"والإيمان بالقدر على درجتين:

- إحداهما الإيمان بأن الله تعالى سبق في علمه ما يعمله العباد من خير وشر وطاعة ومعصية قبل خلقهم وإيجادهم، ومن هو منهم من أهل الجنة ومن أهل النار وأعدّ لهم الثواب والعقاب جزاء لأعمالهم قبل خلقهم وتكوينهم وأنه كتب ذلك عنده وأحصاه، وأنّ أعمال العباد تجري على ما سبق في علمه كتابته.
- والدرجة الثانية : أنّ الله تعالى خلق أفعال عباده كلها من الكفر والإيمان والطاعة والعصيان وشاءها منهم فهذه الدرجة يثبتها أهل السنة وينكرها القدرية،

والدرجة الأولى أثبتها كثير من القدرية وأنكرها غلاتهم كمعبد الجهني، الذي سئل ابن عمر رضي الله عنه عن مقالته وكعمر ابن عبيد وغيره، وقد قال كثير من السلف، من أئمة السلف: ناظروا القدرية بالعلم فإن أقروا به خصموا وإن أنكروه كفروا، يريدون أن من أنكر العلم القديم السابق لأفعال العباد وأن الله قسمهم قبل خلقه إلى شقيّ وسعيد وكتب ذلك عنده في كتاب حفيظ قد كذّب بالقرآن، فيكفر بذلك، وإن أقروا بذلك وأنكروا أنّ الله خلق أفعال عباده وشاءها وأرادها منهم إرادة كونية قدرية فقد خصموا، لأن ما أقروا به حجة عليهم فيما أنكروه، و في تكفير هؤلاء نزاع مشهور بين العلماء، وأما من أنكر العلم القديم فنص أحمد والشافعي على تكفيره وكذلك غيرهما من أئمة الإسلام".

انتهى كلامه رحمه الله.

بقي التنبيه على قوله تؤمن بالقدر خيره وشره،

ننبه على أنّ أفعال الله لا شرّ فيها وأفعاله صادرة عن حكمة ورحمة بالناس، لذلك لا يقال القدر شر، القدر لا شر فيه وإنما الشر في المقدور،

الشر في الأمور التي قد تحدث، هذه المفعولات التي يكون فيها خير وشر،

أما أصل فعل الله تبارك وتعالى فلا شر فيه إن شاء الله، لأنّ الله تبارك وتعالى قدّر هذه الأمور

لحكمة، وأصاب الإنسان بأنواع البلاء لحكم، كما في قوله تعالى ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾ ثم قال: ﴿لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٤١)﴾ [الروم/٤١]

فأذاقهم بعض العذاب لماذا؟ حتى يرجعوا و يعودوا إلى دينهم،

فالذي ينظر إلى ظاهر الحال قد يقول هذه الأمور شرٌّ وكذا وكذا،

لكن إذا نظرنا إلى المآل وأنهم يرجعون فسيعلمون أنّ الله تبارك وتعالى إنما قدر لهم الخير.

هذا ما أردنا بيانه في هذه النقطة.

قال ﷺ أي جبريل: **"أخبرني عن الإحسان قال: أن تعبد الله كأنّه يراك فإن لم تكن تراه فإنه يراك"**

إخواني بارك الله فيكم الإحسان ينقسم إلى ثلاثة أقسام أو يمكن تقسيمه باعتبارات ثلاثة:

١- **إحسان بين العبد ونفسه،**

٢- **وإحسان بين العبد والخلق،**

٣- **وإحسان بين العبد وربه.**

- الإحسان الذي يكون من العبد مع نفسه يكون بأن يحملها على طاعة الله تبارك وتعالى ورسوله وأن يكفها عن معصية الله تبارك وتعالى وبذلك يكون قد أحسن إليها.
- والإحسان الذي يكون بين العبد والخلق، هو كما عرفه الحسن البصري رحمه الله وغفر له، قال الحسن البصري رحمه الله: **الإحسان هو بذل الندى وكف الأذى وطلاقة الوجه.**

ويعني ببذل الندى أي بذل المعروف، أن توصل المعروف إلى الناس،

وكف الأذى أي أن تكف عن الناس شرّك وأذاك، ألا توصل أذاك وشرك إلى الناس،

وطلاقة الوجه كما قال النبي ﷺ التبسم في وجه أخيك صدقة، على أن يكون وجهك طلقا، ولا تكون عابس الوجه، هذا الإحسان مع الخلق .

- أما الإحسان الذي يكون بين العبد وربه فهو أن يتقن العمل الذي كلفه به، وأن يأتيَ به صحيحا كما أمره الله تبارك وتعالى بذلك،

فالله تبارك وتعالى لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصا صوابا،

ونعني بالخالص أن يكون لله تبارك وتعالى لا تشوبه شائبة من شوائب الدنيا، ليس فيه لا شرك ولا رياء ولا سمعة ولا غير ذلك، أن يكون هذا العمل خالصا لوجهه الكريم،

ونقصد بالصواب أن يكون هذا العمل صوابا على وفق سنة رسول الله ﷺ، صوابا يعني يكون هذا العمل وفق شرع الله تبارك وتعالى، ليس فيه بدعة،

الإنسان يتحرى إصابة السنة في كل عمل يعمله، وينبغي للمسلم قبل أن يعمل العمل أن يتعلم كيف يعمل هذا العمل،

- إذا أراد الصلاة يتعلم كيف يصلي،
- إذا أراد الزكاة يتعلم كيف يزكي،
- إذا أراد أن يبيع ويشتري يتعلم أحكام البيوع،
- وإن كان له شيئا من أمور الزكاة يتعلم أحكام هذه الزكاة،
- إذا جاء رمضان يتعلم أحكام الصيام،
- إذا أراد أن يحج يتعلم أمور الحجِّ، فلا يذهب جاهلا هناك وقد يتسبب هذا في عدم قبول حجِّه، بأن يترك ركنا من أركانه أو غير ذلك، فهذا معنى أن يكون العمل صالحا: أن يكون خالصا وأن يكون صوابا.

والإحسان بين العبد وربه ينقسم إلى مرتبتين كما جاء مبَينا في الحديث:

١- مرتبة المشاهدة وهي أعلى المراتب،

٢- ومرتبة المراقبة وهي المرتبة التي دونها.

ونعني بمرتبة المشاهدة: نعني بها كما قال النبي ﷺ أن تعبد الله كأنك تراه، أن يبلغ بك اليقين والإيمان كأنك تشاهد الله عيانا، لا يكن عندك تردد ولا شكٌّ، كأنّك ترى الله تبارك وتعالى عيانا ومن بلغ هذه المرتبة فقد بلغ غاية الإحسان.

المرتبة التي بعدها هي إن لم تعبده كأنّك تراه، فأن تعبده كأنه يراك، كما جاء في الحديث، قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك، **وهذه هي مرتبة المراقبة**،

مرتبة المراقبة أن تعلم أنّ الله تبارك وتعالى يراك، وأنه يعلم حالك ويعلم ما في نفسك فلا يليق بك أن تعصي الله تبارك وتعالى وأنت تعلم منه أنه يراك، وأنه مطلع على أحوالك فهذا لا يليق

بالمرء وهو لا يعلم هذا،

وهذه المرتبة -مرتبة المراقبة- أقل من مرتبة المشاهدة، لكنها من الإحسان لأنها تبلغ بالعبد بأن يحسن عبادته وأن يحسن تصرفاته بأن يراقب الله تبارك وتعالى في جميع أحواله.

ثم قال ﷺ: **"فأخبرني عن الساعة، فقال له الرسول ﷺ ما المسؤول عنها بأعلم من السائل".**

جبريل هنا سأل النبي ﷺ عن قيام الساعة، والنبي ﷺ لا يعلم الغيب، يعلم فقط ما أطلعه الله عليه من أمور الغيب، ولا يعلم كل الغيب، ولا يعلم متى الساعة لماذا ؟ لأن الله تبارك وتعالى استأثر بعلمها، ولم يطلع النبي ﷺ عن وقتها.

فقال له جبريل **"أخبرني عن أماراتها"**: أي عن علامتها **والأمارة هي العلامة.**

فقال له النبي ﷺ: **"أن تلد الأمة ربتها وأن ترى الحفاة العراة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان".**

فأخبره النبي ﷺ عن بعض أمارات الساعة،

الأمارات هذه أمارات صغرى، الساعة لها أشراط أو علامات كبرى وعلامات صغرى،

العلامات التي ذكرها النبي ﷺ في الحديث كلها داخلة في العلامات الصغرى،

أما العلامات الكبرى فإذا بدأت فإنها تأتي الواحدة تلو الأخرى،

وأما العلامات الصغرى فإنه قد يظهر بعضها في وقت والآخر في وقت لاحق بعده بزمن.

فقال في أول العلامات **أن تلد الأمة ربتها،**

والمقصود بالأمة: المملوكة، المرأة المملوكة، فقال أن تلد الأمة ربتها وهذا كناية عن كثرة الرق،

وأنه أتى زمان كثر فيه الرق، في زمن الفتوحات، كان الرجل الواحد يملك عشرة أو عشرين من الإماء، وكان إذا أنجبت هذه الإماء منه أبناء، فإن الأبناء لا يكونون إماء أو عبيدا بل يكونون أسيادا،

يعني الأمة إذا أنجبت من سيدها فإن هذا الولد يكون سيّدا ولا يكون مملوكا، فتبقى هذه الأمة مملوكة ويصبح الولد سيّدا عليها، سواء كان إبنا أو بنتا، فهذا معنى قوله أن تلد الأمة ربتها،

وقلنا هذا قد حصل في زمن الفتوحات فقد كثر الإماء في ذلك الزمان.

ثم قال **"أن ترى الحفاة"**: الحفاة الذين لا يلبسون في أقدامهم شيئا من شدة الحاجة والفقر، العراة: الذين لا يملكون ما يلبسونه ويسترون به أجسادهم وعرواتهم.

العالة: يعني الفقراء

ورعاة الشاء: اي يرعون الشياه.

قال **"يتطاولون في البنيان"**: وهذا قد تحقق في يومنا هذا، فكثير من البدو الذين كانوا جياعا لا مال عندهم أصبحوا يتطاولون في البنيان ويبنون العمائر الطويلة والمساكن الفخمة الكبيرة، وهذا من علامات نبوّة النبي ﷺ؛ إذ أنّه أخبر عن هذا في ذلك الزمان وتحقق بعده بمدة طويلة.

ثم قال:**" ثم انطلق فلبثت مليا"**. عمر ﷺ لبث مليا ثم قال له النبي ﷺ: **"يا عمر أتدري من السائل؟"**

"قلت": القول لعمر: **"الله ورسوله أعلم قال: فإنه جبريل آتاكم يعلمكم دينكم".**

فهذا حاصل حديث جبريل عليه السلام وأنّه جاء معلما للصحابة رضوان الله عليهم وذلك بطريقة طرح الأسئلة على النبي ﷺ كي يجيب ويستمع الحاضرون وتحصل عندهم الفائدة، وقلنا أنّ هذا هو أحد أساليب التعليم، أن يطرح الإنسان السؤال على الشيخ فيجيب الشيخ و يستفيد الحاضرون جميعا من الأجوبة، والنبي ﷺ بيّن لعمر و الحاضرين بعد ذهاب جبريل، وجاء في بعض الروايات بعد ثلاثة أيام بيّن لعمر أنّ السائل هو جبريل عليه السلام.

وأعتذر لطول الوقت فهذا الحديث كما رأيتم حديث عظيم جدا لا يكفي المقام لشرحه وبسط القول فيه وتفصيل كلّ ما فيه، وفيه أمور كثيرة ، وفيه كما مرّ معنا أمور الدين وجميع مراتب الدين من إسلام وإيمان وإحسان ،ومن العلماء المعاصرين من أفرده بتصنيف خاص، شرح فيه مجمل ما فيه وهو الشيخ عبد المحسن العباد حفظه الله، فألف رسالة صغيرة سمّاها شرح حديث جبريل في تعريف الدين وهذه رسالة مفيدة جدا، والله أعلم وصلى الله على نبيينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

وسبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك